

المجلد: 08/ العدد 01 جوان (2024)، ص.ص. 185-194.

المباحث الصوتية في الكتب البلاغية القديمة "كتاب سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ) نموذجاً"

Phoneticresearches in ancientrhetorical books – Ibn SinanAlkhaffadji's book "Eloquence secret" (466 Hijri) as a sample

حورية قايش

h.gaiche@univ-dbkm.dz

جامعة: علي لوئيسي البليدة "2"

(الجزائر)

تاريخ النشر: 2024/06/02

تاريخ القبول: 2024/05/26

تاريخ الاستلام: 2024/03/31

ملخص:

لقد تنبّه العلماء العرب الأولون لأهمية الصوت ودوره في بناء اللغة ومفرداتها، فانكبوا على دراسته وتوضيح مكوناته حتى وصل إلينا الكثير من المؤلفات الصوتية التي أثبتت تفوق هؤلاء رغم اختلاف مجالاتهم، ففي اللغة برز كلٌّ من الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن جني، وسيبويه وكان لهم السبق في تشييد صرحه، وثبت دعائمه، وفي الفلسفة برع كل من ابن سينا والفارابي، والكندي، وإخوان الصفاء وكان لهؤلاء إشارات صوتية فاقت كلّ التوقعات أشاد بها المحدثون، أما في البلاغة فتميّز العديد من العلماء الذين أثروا علم الصوتيات بالعديد من المؤلفات، نحو: السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم"، والجاحظ في "البيان والتبيين"، وابن سنان الخفاجي من خلال كتابه "سرّ الفصاحة". ولقد تناول هذا المقال دراسة و تحليل المباحث الصوتية في الكتب البلاغية القديمة من خلال كتاب "سرّ الفصاحة" لابن سنان الخفاجي، حيث حاولنا مناقشة أهمّ المباحث الصوتية التي تحدّث عنها، وما الذي أضافه وقّده للدرس الصوتي في القرن الخامس للهجرة، خاصّةً وأنّه ربط الدرس الصوتي بالعلوم البلاغية. كلمات مفتاحية: الصوت؛ صفات الأصوات؛ ابن سنان الخفاجي؛ سرّ الفصاحة؛ مخارج الأصوات.

Abstract:

The first Arabscholars have known about soundsignificance and role in constructinglanguage and its lexis. Theystudiedit, and clarifiedits components sothatmanywritings about thistopic have reached us. Thesewritings have provedthosescholars' excellence, despite the difference of theirfields. In language, wefindAlkhalil Ibn Ahmed Alfarahidi, Ibn Djenni and Sibawaih;

they truly constructed it. In philosophy, several philosophers, like Ibn Sina, Alfarabi, Alkindi and Clarity Brothers, emerged; they had vocal signs, which were more than all expectations, and the modernists have applauded them. In rhetoric, several scholars were distinct through enriching Phonetics with many writings like Essekaki's book "The key of sciences", Aljahid's book "Demonstration" and Ibn Sinan Alkhaffadji's book "Eloquence secret".

This article has studied and analyzed the phonetic researches in the ancient rhetorical books through Ibn Sinan Alkhaffadji's book "Eloquence secret". We've tried to discuss the most important phonetic researches tackled by Alkhaffadji and what he added to the phonetic lesson in the 5th century Hijri, especially when knowing that he linked it with the rhetorical sciences.

Keywords: sound ; sounds' features ; Ibn Sinan Alkhaffadji ; Eloquence secret ; sounds' outputs.

المقدمة:

اهتم علماء اللغة العرب القدماء بالدرس الصوتي اهتمامًا كبيرًا، كونه يمثل الأساس الذي تبنى عليه اللغات، فحدّدوا معالمة وأسسها حسب الإمكانيات المتوفرة لديهم.

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي من الأوائل الذين فضّلوا في حشيات هذا العلم من خلال معجمه "العين" الذي أسّس فيه مبادئ علم الأصوات عند العرب، فحدّد عدد الأصوات ومخارجها وبعض صفاتها، لكنّ هذا العلم لم يقف عنده وإثما تلتته ثلة من العلماء الذين أثروا هذا المجال أمثال: ابن جني وسيبويه، وابن سنان الخفاجي والشككي، وغيرهم. ويُعدّ "ابن سنان الخفاجي" من العلماء البلاغيين الذين أحاطوا بالمعلومات الأساسية للصوت، فأدرك ماهيته وصفاته، ووضّح أهمية مخارج الأصوات وأثرها في إبلاغ السامع، كما تطرّق إلى أهمية السمع في إدراك العملية الصوتية، وذلك من خلال كتابه "سرّ الفصاحة"، وعلى إثر هذا ارتأينا البحث في هذا المجال، فانطلقنا من إشكالية تمحورت حول: ما أهمّ المباحث الصوتية التي تطرّق إليها ابن سنان الخفاجي؟، وما موقع الدرس الصوتي عنده و عند من جاء بعده؟، سنحاول في هذا المقال أن نبيّن أهمّ المباحث الصوتية التي تحدّث عنها من خلال كتابه "سرّ الفصاحة"، وذلك بالحديث عنه وعن منهجه في البحث الصوتي، وتحديد مفهوم الصوت، وذكر صفاته، وأقسام مخارجه، دون أن ننسى حديثه عن علم الأصوات وأقسامه (التنطقية، والفيزيائية والسمعية) وأهميته.

1_ ابن سنان الخفاجي (مولده ونشأته):

هو الأمير محمد عبد الله بن سعيد بن يحيى بن الحسين¹، أديب و شاعر وُلد بجلب سنة (423هـ) لأب خفاجي وأمّ تميمية بقلعة (عزار)²، أخذ العلم عن أبي العلاء المعري (ت 449هـ) فأعجب بآرائه وأخذ بطريقته في التّظلم، وهذا ما كان واضحاً في كتابه "سرّ الفصاحة"، إذ ذكره في أكثر من موضع، كما أخذ العلم عن طائفة من العلماء غير المعري أمثال:

الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، و سيوييه (ت 180 هـ)، وابن جني (ت 392هـ)، وابن المعتز (ت 296هـ)³ وغيرهم.

عُرف الخفاجي بكونه لغويًا نافعًا من خلال كتابه "سرّ الفصاحة"، واشتهر به شهرةً فائقةً لم ينلها بشعره الذي يقترب كثيرًا من شعر أبي العلاء (ت 449هـ) والمتنبي (ت 354هـ) وابن الرومي (ت 383هـ)، وهذا أثار العديد من التساؤلات، وجعل الدارسين يبحثون في أسباب ذلك.

وافته المنية في وقت مبكرًا جدًّا، أي سنة (466 هـ) عن عمر يناهز ثلاثة و أربعين سنة، ومن مؤلفاته نذكر الآتي:

- كتاب سرّ الفصاحة.
- كتاب الصّرفة.
- كتاب عبارة المتكلمين في أصول الدين.
- كتاب في رؤية الهلال.
- كتاب في العروض⁴

2-المباحث الصوتية في كتاب " سرّ الفصاحة":

1-1-الصّوت:

1-1-1 لغة:

استهلّ ابن سنان الخفاجي حديثه عن الصّوت معجميا في فصل الأصوات بالقول أنّ: «الصّوت مصدر صات الشيء، يصوت صوتًا فهو صائت، وصوت تصويئًا فهو مصوّت وهو عامٌّ ولا يختصّ، يقال صوت الإنسان وصوت الحمار وفي الكتاب الكريم ﴿إِنَّ أَكْثَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان الآية 19»⁵ كلّ ما ذكره ابن سنان في هذا التعريف المعجمي لا يختلف عمّا أورده علماء اللغة والمعاجم في تعريفاتهم المتعدّدة للصّوت، كالخليل بن أحمد الفراهيدي، و ابن جني، وسيوييه، و ابن منظور، وغيرهم.

2-1-2 اصطلاحا:

عرّفه ابن جني قائلا: «اعلم أنّ الصّوت عرضٌ يخرج مع النّفس مستطيلا متّصلاً حتّى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته فيُسمّى المقطع أيّما عرض له حرفاً»⁶، ومن أقدم المتحدّثين الذين بيّنوا أهمية الصّوت وركّزوا على الجانبين (الدّلالي والجمالي) الجاحظ (ت 255هـ) إذ وصف الصّوت بقوله: «والصّوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التّأليف ولن تكون حركة اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا ولا منشورًا إلّا بظهور الصّوت، ولا تكون الحروف كلامًا إلّا بالتقطيع والتّأليف و حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان»⁷.

ونهج ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) في تعريفه للصّوت المنهج العقلي الفلسفي الذي يحتاج به أقرانه من أصحاب علم الكلام، وقد وصف ذلك قائلا: «والصّوت معقول لأنّه يدرك، ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما يدرك، وهو عرض ليس بجسم، ولا صفة لجسم والتّليل على أنّه ليس بجسم، أنّه مُدركٌ بحاسة السّمع، وفي علمنا ببطلان ذلك دليل على أنّ الصّوت ليس بجسم، وهذه الجملة تحتاج أن نبين أنّ الأجسام متماثلة»⁸.

أكد في أكثر من موضع أنّ الصوت من الموجودات العقلية المدركة، وأنه عرض من الأعراض يدرك بحاسة السمع والتالي فهو ليس بجسم ولا صفة لجسم، ودليله على قوله: «ويمكن الدلالة على أنّ الصوت ليس بجسم إذا ثبت أنّ الأجسام متاثلة من وجه آخر؛ وذلك أنّا ندرك الأصوات مختلفة، فالتراء مخالفة للزاي، وكذلك سائر الحروف المختلفة، فإذا كانت الأجسام متاثلة والأصوات تُدرك مختلفة فليست بأجسام، وإذا كنا دللنا على أنّ الصوت ليس بجسم فالذي يدلّ على أنّه ليس بصفة لجسم بل هو ذات مخالفة له أنّ الصوت لو كان صفة لم يخلُ من أن يكون صفة ذاتية أو غير ذاتية، ولا يجوز أن يكون صفة ذاتية لتجدده، وأنّ دوامه غير واجب، ولا يجوز أن يكون صفة غير ذاتية لتجدده، لما يتناه من أنّ الإدراك لا يتناول إلا الصفات الذاتية والصوت مدرك بال خلاف»⁹، وكان قد استدلل برأي العديد من العلماء في مسألة إدراك الصوت كأبي هاشم الجبائي(ت321هـ) والشريف المرتضى(ت436هـ)، وعبد الجبار الهمذاني(ت415هـ)، واتفق إلى حد بعيد مع آراء الجبائي خاصة في مسألة استحالة اجتماع صوتين مختلفين في محل واحد ووقت واحد¹⁰.

و قد توقّف أثناء حديثه عن الصوت عند بعض الإشارات المتعلقة بخصائص الفيزيائية للصوت كإشارته إلى الوسط الناقل للصوت، وإدراكه لأسبقية الجانب البصري على الجانب السمعي، إذ قال: «وقد سُئل على هذا المذهب عن العلة في مشاهدة القصار من بعد يضرب الثوب على الحجر، ثم يسمع الصوت بعد محلة، فيسبق النظر السمع، وأجيب على ذلك بأنّ الصوت يتولّد في الهواء، والبعد المخصوص مانع من إدراكه، فإذا تولّد فيما يقرب أدرك في محله»¹¹، يبدو أنّ حديث ابن سنان عن القضايا الصوتية غلب عليه الطابع الفلسفي، ومع ذلك يمكن القول أنّه قد أحسن الوصف فيها، ومهد لأبعاد كثيرة تحدّث عنها الدرس الصوتي الحديث، ومنها مميزات حاسة السمع لدى الإنسان، ويمكن الإشارة إليها فيما يأتي¹²:

— إدراك الأصوات اللغوية.

— إمكانية إدراك الأصوات من مسافة تستطيع الحواس الأخرى، كالشم والنظر إدراكهما.

— إدراك الوسط الناقل للصوت (الهواء).

حيث عرض في نهاية حديثه مفهوماً للصوت يكاد يكون منقولاً عن ابن جتي في كتابه "سر صناعة الإعراب « والصوت يخرج مستطيلاً ساذجاً حتّى يعرض له في الحلق والغم والشفتين مقاطع تشبه عن امتداده فيسمّى المقطع أيما عرض له حرف»¹³.

2- مخارج الأصوات:

تحدّث ابن سنان الخفاجي عن عدد حروف العربية وأكّد أنّها تسعة وعشرون حرفاً وهي: «الهمزة والألف والهاء والعين، والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والضاد والهم والشين والياء واللام والزاء والتون والطاء والدال والتاء والضاد والزاي والسين والطاء والدال والثاء والفاء والباء والميم والواو»¹⁴، إنّ حديثه عن عدد حروف العربية وترتيبها يجعلنا نستذكر ما قام به علماؤنا الأوائل وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيويه، ومن سار على نهجهم، وفي مقدّمهم ابن جتي، فقد عدّ هؤلاء حروف العربية تسعة وعشرين حرفاً، وكان ترتيبهم للحروف ترتيباً تصاعدياً، أي من الحلق إلى الشفتين عكس المحدثين، والواضح أنّه سار على نهج سيويه وابن جتي في ترتيب الحروف،

و خالف الخليل في ترتيب المخارج، حيث اعتمد الخليل في ترتيب الأصوات تسعة أحياز، أمّا ابن سنان فرتبها في ستة عشر مخرجاً، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي¹⁵:

1. الحلق: أولها من أقصاه (الهمزة، الألف، الهاء).
2. وسط الحلق: (العين، الحاء).
3. أول الفم (الغين، الخاء).
4. أقصى اللسان (القاف).
5. أسفل ذلك وأدنى إلى مقدّم الفم (الكاف).
6. وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى (الجيم، الشين، الياء).
7. أول حافة اللسان و ما يليها من الأضراس (الضاد).
8. من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى (اللام).
9. من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا (التون).
10. من مخرج التون غير أنه أدخل في ظهر اللسان (الراء).
11. ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا (الطاء، التاء، الدال).
12. مما بين الثنايا وطرف اللسان (الضاد، الزاي، السنين).
13. مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا (الطاء، التاء، الدال).
14. من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا (الفاء).
15. من بين الشفتين (الياء، الميم، الواو).
16. من الخياشم (التون الخفيفة).

يبدو أنه في ترتيبه لأصوات العربية اتفق إلى حدّ بعيد مع ترتيب سيويوه وتمّ جاء بعده، أمثال ابن جني وإن كانت هناك اختلافات فهي بسيطة، كتقديم وتأخير بعض الأصوات داخل المخرج الواحد، ويمكن توضيح تلك الفروقات البسيطة من خلال الجدول الآتي¹⁶:

ابن سنان(ت466هـ)	سيويوه(ت180هـ)	ابن جني(ت392هـ)
الهمزة، الألف، الهاء، العين الحاء، الغين، الخاء، القاف الكاف، الضاد، الجيم الشين، الياء، اللام، الراء التون، الطاء، الدال، التاء الضاد، الزاي، السنين، الطاء الدال، التاء، الفاء، الباء الميم، الواو، التون، الخفيفة.	الهمزة، الألف، الهاء، العين الحاء، الغين، الخاء، القاف الكاف، الشين، الجيم، الياء الضاد، اللام، التون، الراء الطاء، الدال، التاء، الضاد الزاي، السنين، الطاء، الدال التاء، الفاء، الباء، الميم الواو.	الهمزة، الألف، الهاء، العين الحاء، الغين، الخاء، القاف الكاف، الضاد، الجيم الشين، الياء، اللام، الراء التون، الطاء، الدال، التاء الضاد، الزاي، السنين، الطاء الدال، التاء، الفاء، الباء الميم، الواو، التون، الخفيفة.

3-2- صفات الأصوات:

كان موضوع صفات الأصوات من الموضوعات المهمة عند علماء العربية القدماء، فأعطوا لكل صوتٍ صفة خاصة به يمتاز بها عن غيره من الأصوات، وسنحاول في هذا الموضوع أن نتحدث عن صفات الحروف عند ابن سنان الحفاجي، والذي لاحظنا أنه قد اقتفى أثر سيبويه وابن جني في تحديد صفات الأصوات، فقد ذكر العديد من الصفات أهمها:

1-3-2 الجهر والهمس:

الجهر رفع الصوت والهمس إخفاؤه، وعرف علماء العربية الصوت المجهور أنه: «صوتٌ أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي ويجري الصوت»¹⁷، وعدد الأصوات التي تنضوي تحت هذا المفهوم تسعة عشرة صوتاً، وهي: «الهمزة، الألف، العين، الغين، القاف، الجيم، الباء، الطاء، اللام، الزاي، الزاء، التون، الدال، التال، الصاد، الميم، الواو، الطاء»¹⁸، أما الصوت المهموس فعرّف على أنه: «معنى الهمس فيه أن يضعف الاعتماد في الصوت حتى يجري معه النفس، والحروف المهموسة عشرة أحرف، وهي: الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والسين، والصاد، والتاء، والشين، والتاء، والفاء، ويجمعها في اللفظ - ستسحتك - وجمعت أيضاً - سكت فحته شخص -»¹⁹ يلاحظ من خلال هذين التعريفين أنّ العلماء القدماء وعلى رأسهم سيبويه انطلقوا من جانب عضوي بحث وهو وضعية الوترين الصوتيين، لأنّ جري النفس أثناء التطق يصادف أنّ مواضع حدوث بعض الحروف تعترض النفس، وهذا يؤكد علمياً أنّ الوترين الصوتيين يتأثران بالنفس وجريانه من خلال وضعيتهما انقباضاً واسترخاءً، فالانقباض وما يليه من اهتزازات يكون سبباً في حدوث صفة الجهر والعكس صحيح²⁰، وبالعودة إلى ابن سنان الحفاجي نجد أنّه ميّز كثيره من العلماء القدماء بين الجهر والهمس ووضح أنّ معيار الجهر والهمس في جريان النفس وعدمه، وهذا التعريف الذي ذهب إليه هو نفسه الذي أرسى قواعده سيبويه منذ بداية القرون الأولى، وسار عليه كلّ من جاء بعده من العلماء اللغويين حتى منتصف القرن العشرين، حيث بدأ الدرس الصوتي يتغيّر ويتأثر بمعطيات الدرس الصوتي الحديث.

ولقد أثبت الدرس الحديث أنّ الصوت المجهور هو الصوت الذي يتذبذب معه الوتران الصوتيان عند التطق به، بينما الصوت الذي لا يتذبذب معه الوتران الصوتيان عند التطق يُسمّى الصوت المهموس ولم يذكر ابن سنان الوترين الصوتيين في كتابه "سرّ الفصاحة" ربما لعدم تطّرقه إلى الجهاز التطقي أو عدم درايته بهما.

2-3-2 الصوت الرخو والشديد و الذي بين الرخو والشديد:

رغم أنّ ابن سنان الحفاجي سار على خطى توصيف علماء العربية ولم يخالفهم إلاّ أنّه وقف وقفة المستوعب في تحديد الأصوات الرخوة والشديدة ورأى أنّ الأصوات الشديدة هي: « فالشديد الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهي ثمانية أحرف الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء، ويجمعها في لفظ - أجذك قطبت - »²¹، وجعل الأصوات التي بين الشديد والرخو ثمانية أصوات، وهي: « الألف والعين والراء واللام والياء والتون والميم والواو، ويجمعها في لفظ - لم يروّعنا - »²² و حدّد الأصوات الرخوة قائلاً: « والرخوة الحروف التي لا تمنع الصوت أن يجري فيها، وهي هذين القسمين المذكورين. »²³، الشدة والرخوة وبينهما درجة التوسّط من الصفات التي تناولها

سيبويه، واعتمدها ابن سنان الخفاجي كغيره من العلماء القدماء، شرحها ووضح حدودها، ويقابل الأصوات الشديدة والزخوة وما بينها عند المحدثين الأصوات الانفجارية والاحتكاكية والمتوسطة أو المائعة.

من الواضح أنّ قضية إحصاء الأصوات وتحديد صفاتها بين الشدة والزخوة و التوسط لم يحسم إلى غاية اليوم نظراً للاختلاف بين علماء العربية القدماء والمحدثين، بل حتى القدماء أنفسهم اختلفوا في تحديدها؛ فمثلاً الأصوات المتوسطة عند ابن سنان ثمانية أصوات وعند السيوطي خمسة فقط، فقد أبعد أصوات المدّ واللّين²⁴، في حين جعلها ابن الطّحان سبعة أصوات.

3-2-2 الأصوات المطبقة والمنفتحة:

قسم ابن سنان الأصوات إلى مطبقة ومنفتحة وعزف المطبقة بقوله: « معني الإطباق أن يرفع المتلفظ بهذه الحروف لسانه ينطق بها الحنك الأعلى فينحصر الصوت بين اللسان والحنك، وهي أربعة أحرف: الصاد والضاد والطاء والظاء، وما سواها من الحروف مفتوح غير مطبق»²⁵ والأصوات المنفتحة هي عكس الأصوات المطبقة، وهي تتشكل « بأن يفتح ما بين اللسان والحنك الأعلى، بحيث يسمح بجران الهواء دون عائق عند التطق بها، وعدد الأصوات الانفتاحية خمسة وعشرون صوتاً هي: الهمة، الباء، التاء، الناء، الجيم، الحاء، الخاء، الدال، الذال، الزاء، الزاي، السين، الشين، العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الياء، الواو، الألف»²⁶، يتضح من خلال تقسيم العرب القدماء وعلى رأسهم ابن سنان للأصوات إلى مطبقة و منفتحة أنّه كان تقسيماً منطقياً منهجياً، اتبعه المحدثون فيما بعد، فجعلوا الأصوات قسمين استناداً إلى مؤخّرة اللسان وانخفاضها عند التطق بالأصوات « فعندما ترتفع مؤخّرة اللسان اتّجاه الطّبق وهو الجزء الرّخو من سقف الحنك، يسمّى الصوت مطبقاً أو مفتحاً، وعندما تنخفض مؤخّرة اللسان يسمّى الصوت مرّقّقاً أو غير مطبق»²⁷

كخلاصة لما ذكر حول تصنيف الأصوات إلى مطبقة ومنفتحة، نرى أنّ ابن سنان لم يخرج عن تصنيف العلماء العرب القدماء خاصّةً ما جاء به سيبويه و تمّن جاء بعده، وأطلق المحدثون على الأصوات المطبقة بالأصوات المفخّمة وأضافوا إليها صوتي الزّاء واللام.

4-3-2 حروف الاستعلاء والانخفاض:

الاستعلاء هو أن يتصدّد اللسان إلى الحنك الأعلى وهو ما ذهب إليه ابن سنان قائلاً: « الاستعلاء أن تصعد في الحنك وهي سبعة أحرف: الحاء والغين والقاف والضاد والطاء والضاد وما سوى ذلك من الحروف منخفض»²⁸، و هو في ذلك يسير على نهج العلماء القدماء في حصر أصوات الاستعلاء في سبعة أصوات، ولم يعرّف الأصوات المنخفضة واكتفى بالإشارة إليها فقط، وعرفت الأصوات المنخفضة بأصوات الاستفال وتعني «خروج الصوت من قاع الفم لانخفاض اللسان عند التطق به إلى الحنك الأسفل»²⁹، والأصوات المستفلة يراها علماء اللّغة القدماء ومعهم بعض المحدثين اثنان وعشرون صوتاً.

5-3-2 الأصوات المذلقة والمصمتة:

يقصد ابن سنان بالذّلاقة « أن يعتمد عليها بذلق اللسان وهو طرفه، وذلق كلّ شيء حدّه، وهي ستّة أحرف: اللّام، والزّاء والتون، والفاء، والباء، والميم، وما سواها من الحروف فهي مصمتة»³⁰، يبدو أنّه لم يتتعد عن نظرة الخليل بن أحمد الفراهيدي في تصنيف الأصوات إلى مذلقة ومصمتة؛ إذ كان هذا الأخير (الخليل) أوّل العلماء العرب

الذي ذكر هذا المصطلح (الذلاقة والإصبات)، وجعل الأصوات المذلفة ستة وهي: الأصوات التي ذكرها، أما المصمتة هي باقي الأصوات و سبب تسميتها بهذا الاسم هو: « صمت أن يتكلم بها، وتبنى الكلمة منها، إذا كثرت فلا تجد بناءً رباعياً مصمت الأصوات لا مزاج له من أصوات الذلاقة»³¹ من الواضح أنّ حروف الذلاقة السابق ذكرها هي من أكثر الأصوات تداولاً في اللسان العربي، وهذا راجع إلى مرونتها وسهولة نطقها.

و أشار إلى صفات أخرى في أكثر من موضع دون توضيحها تتعلق بالجانب التحوي، كالصحة والاعتلال والزيادة والأصل والتشكون والحركة، وحتّته في عدم التطرق إليها، عدم الإطالة في الكتاب حتّى لا يخرج عن القصد (الفصاحة).

الخاتمة:

بعد رحلة تتبع المباحث الصوتية لابن سنان، خلص البحث إلى عدّة نتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- 1_ كانت جهود ابن سنان الحفاجي مميّزة ومتفردة، حيث تطرّق لقضايا صوتية مهمّة جدّاً لم يتطرّق إليها من سبقه في دراسته للأصوات و ربطها بالجانب البلاغي.
- 2_ و كان من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى فيزيائية الصوت ولم يسبقه في ذلك سوى العلماء الفلاسفة، أمثال ابن سينا والبيروني وإخوان الصفاء.
- 3_ نحى نحو سيبويه وابن جني في العديد من القضايا الصوتية، ولعلّ أبرزها مخارج الأصوات وعدّها ستة عشر مخرجاً، إضافة إلى تحديد صفاتها.
- 4_ أشار إلى بعض الخصائص الفيزيائية المتعلقة بالصوت، كالتنقل الصوت عن طريق الهواء، وأنّ الصوت مدرك بحاسة السمع، إضافة إلى ذكره أسبقية الجانب البصري عن الجانب السمع.
- 5_ حصر أصوات العربية في تسعة وعشرين صوتاً موافقاً في ذلك العديد من العلماء العرب القدماء و حتّى المحدثين.
- 6_ لم يشر إلى المصادر التي استقى منها المباحث الصوتية.

قائمة الإحالات:

- 1 _ فوات الوفيات، محمد بن أحمد شاکر الکتبي، (ت 407هـ)، تحقيق: علي بن محمد بن يعوض الله و عادل أحمد عبد الحمود، دار الكتب العلمية بيروت 2000 الطبعة الأولى، ج1، ص 572.
- 2 _ الدرس اللغوي عند ابن سنان الحفاجي، نور الهدى حسيني، رسالة دكتوراه إشراف ذليبة مزور، جامعة محمد خير بسكرة، الجزائر، سنة (2015م_2016م) ص 08.
- 3 _ يُنظر: سرّ الفصاحة ابن سنان الحفاجي، (ت 644هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دون طبعة، 1982م، ص 174.
- 4 _ يُنظر: ابن سنان الحفاجي وجهوده البلاغية والتقدية من خلال كتابه "سرّ الفصاحة"، درية ياسين عبد الرحمن أحمد، رسالة دكتوراه، إشراف: محمد الحسن علي الأمين، جامع أم درمان، سنة 2009م، ص 18.
- 5 _ سرّ الفصاحة، ابن سنان، ص 15.
- 6 _ الخصائص، ابن جني (أبو الفتح عثمان)، تحقيق: محمد علي التجار، الطبعة 01، عالم الكتب، ج1، ص 53.
- 7 _ البيان و التبيين، الجاحظ (عمر أبو عثمان)، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ج1، ص 89.
- 8 _ سرّ الفصاحة، ص 16.
- 9 _ نفسه، ص 17_18
- 10 _ يُنظر: الدرس اللغوي عند ابن سنان الحفاجي، نور الهدى حسيني، ص 27.
- 11 _ سرّ الفصاحة، ابن سنان، ص 22.

- 12_ يُنظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة النهضة، مصر، دون طبعة، دون تاريخ، ص 16، و يُنظر كذلك: الدرس اللغوي عند ابن سنان الخفاجي، نور الهدى حسيني، ص 25.
- 13_ سرّ الفصاحة، ص 22، ويُنظر كذلك: سرّ صناعة الإعراب، ابن جتي (عثمان أبو الفتح)، تحقيق: مصطفى الشقا وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر الطبعة 01، 1954، ج 1، ص 06، و يُنظر: في البحث الصوتي عند العرب، خليل إبراهيم عطية، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1983م، ص 22.
- 14_ سرّ الفصاحة، ص 26.
- 15_ سرّ الفصاحة، ص 22.
- 16_ الدرس اللغوي عند ابن سنان، ص 74.
- 17_ الكتاب، سيبويه، تحقيق و شرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطبع والنشر، مصر، الطبعة 02، 1982م، ج 2، ص 405.
- 18_ سرّ الفصاحة، ص 30.
- 19_ يُنظر: في الصوتيات الفيزيولوجية والفيزيائية، عيسى واضح حمداني، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الطبعة 01، 2014، ص 92.
- 20_ يُنظر: الدرس الصوتي في التراث البلاغي حتى نهاية القرن الخامس هجري، عالية محمود حسن ياسين، ص 101.
- 21_ سرّ الفصاحة، ص 30.
- 22_ نفس المصدر والصفحة.
- 23_ نفس المصدر والصفحة.
- 24_ يُنظر: همع الهوامع في شرح الجوامع، السيوطي، تصحيح: محمد بدر الدين التتسائي، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ج 2، ص 230.
- 25_ سرّ الفصاحة، ص 31.
- 26_ الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار الضفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة 02، 2014م، ص 273.
- 27_ منهج الدرس الصوتي عند العرب، علي خليف حسين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة 01، 2011م، ص 136.
- 28_ سرّ الفصاحة، ص 31، ويُنظر: كذلك المدارس الصوتية عند العرب، علاء جبر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة 01، 2006م، ص 201.
- 29_ الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص 273.
- 30_ سرّ الفصاحة، ص 31.
- 31_ منهج الدرس الصوتي عند العرب، علي خليف حسين، ص 139.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1_ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة النهضة، مصر، دون طبعة، دون تاريخ.
- 2_ الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار الضفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة 02، 2014م.
- 3_ البيان و التبيين، الجاحظ (عمر أبو عثمان)، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر.
- 4_ الخصائص، ابن جتي (أبو الفتح عثمان)، تحقيق: محمد علي التجار، الطبعة 01، عالم الكتب.
- 5_ الدرس الصوتي في التراث البلاغي حتى نهاية القرن الخامس هجر، عالية محمود حسن ياسين، رسالة ماجستير، إشراف محمد جواد النوري، جامعة التجاح الوطنية، فلسطين، سنة 2003م.
- 6_ الدرس اللغوي عند ابن سنان الخفاجي، نور الهدى حسيني، رسالة دكتوراه إشراف دليلة مزور، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، سنة (2015م-2016م).
- 7_ سرّ الفصاحة ابن سنان الخفاجي، (ت 644هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دون طبعة، 1982م.
- 8_ سرّ صناعة الإعراب، ابن جتي (عثمان أبو الفتح)، تحقيق: مصطفى الشقا وآخرون، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة 01، 1954م.
- 9_ ابن سنان الخفاجي وحموده البلاغية والنقدية من خلال كتابه "سرّ الفصاحة"، درية ياسين عبد الرحمن أحمد، رسالة دكتوراه، إشراف محمد الحسن علي الأمين، جامعة أم درمان، سنة 2009م.
- 10_ العين، الفراهيدي (الخليل بن أحمد)، ترتيب و مراجعة: داود سلّوم و آخرون، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى 2004م.

- 11_ فوات الوفيات، محمد بن أحمد شاکر الکتبی، (ت407هـ)، تحقیق: علی بن محمد بن یعوز الله و عادل أحمد عبد الحمود، دار الکتب العلمیة بیروت 2000م الطبعة الأولى ج1.
- 12_ فی البحث الصوتی عند العرب، خلیل إبراهیم عطیة، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1983م.
- 13_ فی الصوتیات الفیزیولوجیة والفیزیائیة، عیسی واضح حمدانی، مکتبة المجتمع العربی، للنشر والتوزیع، الطبعة 01، 2014م.
- 14_ الکتاب، عمر بن عثمان بن قنبر (سیبویه)، تحقیق و شرح: عبد السلام هارون، مکتبة الخانجي للطبع و النشر، مصر، الطبعة 02، 1982م.
- 15_ المدارس الصوتیة عند العرب، علاء جبر محمد، دار الکتب العلمیة، بیروت، الطبعة 01، 2006م.
- 16_ منهج الدرس الصوتی عند العرب، علی خلیف حسین، دار الکتب العلمیة، بیروت لبنان، الطبعة 01، 2011م.
- 17_ همع الهوامع فی شرح الجوامع، جلال الدین الشیوطی، تصحیح: محمد بدر التین التعلسانی، دار المعرفة للطباعة، بیروت.